دار القاسم

صفات الله

البراء

د. يحيى بن إبراهيم اليحيى

المملكة العربية السعودية - ص.ب ٦٣٧٣ الرياض ١١٤٤٢ هاتف: ٤٧٧٥٣١١ (٤خطوط) ناسوخ: ٤٧٧٤٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال :« لاعدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل» قال: قيل: وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة» .

ماهو التشاؤم ؟ الشأم والشؤم ضد اليمن الذي هو البركة ، ويقال رجل مشؤوم على قومه أي جر الشؤم عليهم ، ورجل ميمون أي جر الخير والبركة واليمن على قومه . انظر لسان العرب ومعجم مقاييس اللغة .

والعرب تقول :جرى له الطائر بكذا من الخير والشر، قال أبو عبيدة : الطائر عندهم الحظ وهو الذي تسميه العامة البخت، يقولون هذا يطير لفلان أي يحصل له ، قلت: ومنه الحديث فطار لنا عثمان بن مظعون أي أصابنا بالقرعة لما اقترع الأنصار على نزول المهاجرين عليهم وفي حديث رويفع بن ثابت حتى أن أحدنا ليطير له النصل والريش والآخر القدح أي يحصل له بالشركة في الغنيمة .

وقال الحليمي : " التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق ، والتفاؤل حسن ظن به ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال "

والمقصود بالحديث من يجر النقص والشؤم على نفسه . ومايسمى بالنظرة السوداوية إلى النفس بأنه مشؤوم وسيىء الحظ .

آثاره :

١ – باب الوساوس والشيطان . قال ابن القيم : « اعلم أن من كان معتنيا بها قائلا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدر فتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ،ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى مايفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه ، فإذا سمع سفرجلا أو أهدى إليه تطير به ، وقال سفر وجلاء ،وإذا رأى ياسمينا أو سمع اسمه تطير به وقال يأس ومين ،وإذا رأى سوسنة أو سمعها قال سوء يبقى سنة.. وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو أشل أو أعمى أو صاحب آفة تطير به وتشاءم بيومه» .

٢ – حياته نكد وكدر وعنت : والمتطير متعب القلب، منكد الصدر، كاسف البال ،سيء الخلق ،يتخيل من كل مايراه أو يسمعه ،أشد الناس خوفا ، وأنكدهم عيشا ، وأضيق الناس صدرا ، وأحزنهم قلبا ،كثير الاحتراز والمراعاة لما لايضره ولا ينفعه ، وكم قد حرم نفسه من حظ، ومنعها من رزق وقطع عليها من فائدة .

٣ – صاحبه دائما في المؤخرة : صاحبه لايرتقي نحو تحسين أحواله ، وتصحيح مفاهيمه ، ومعرفة نقاط الضعف من القوة في جميع تصرفاته ، فإذا أخفق في تجارة ، أو أصيب بمصيبة ، أو تجمد في وظيفة أرجع هذا كله لسوء الحظ ، وبالتالي لايرجع إلى نفسه والتي بإماكنه أن يصحح مسارها ويتدارك ماقصر فيه . بل يبقى كئيبا كسيفا عاجزا ، في مؤخرة الركب ، لايعرف التطور ولايرغب في التغيير ، ولايسعى لمعرفة الأسباب فضلا أن يأخذ بها .

٤ – النظرة الحادة للناس : نظرته للآخرين قاسية . يحكم عليهم دون رعاية منه للظروف ، أو تحر للعدالة والإنصاف ، فيعمى عن جدهم واجتهادهم وصبرهم ومثابرتهم وجميع حسناتهم ، وينسج حولهم بخياله مايشتهيه من الأخطاء والنقائص ، ويحمل كلامهم تفسيرات من نفسه ليس لها أصول ولا قواعد ولا متعلقات ، ويعتبر نفسه دائما هو الضحية .

٥ – يرى أن أسباب الشقاء انعقدت فيه : فيتصور أن الناس كل الناس يعيشون حياة السعادة كل السعادة دون تعب ولا كدر ولا حزن ولا هم ولانصب، وأن جميع هذا الأشياء قد اجتمعت فيه . وما علم هذا القاتل لنفسه أن هذه الحياة طبعت على كدر وعنت يستوي فيها الغني والفقير، والعظيم والحقير، والصغير والكبير. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد : ٤] ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق: ٦]

٦ – يصاب بعمى الألوان : ولايزال الشيطان بهذا المسكين يجعله يذوق الحسرات ويشعر بالمرارة حتى في حال فوزه وربحه ونجاحه ، فإذا ماربح ألفا نظر إلى غيره بأنه ربح خمسة فيزداد حسرة وأسفا إلخ . فيصاب بعمى الألوان وبالأصح بعمى القلوب ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] قد حبس نفسه طوعا في كآبة وكدر .

وبدلا من بذل الجهد في معرفة مصالحه وأحواله ونقائصه ونقاط ضعفه ، تجده يصرف جهده وطاقته في مراقبة الناس فيتولد عنده الهم كما قيل (من راقب الناس مات هماً) .

٧ – احتراق قلبه بالغيرة والحقد على كل من حوله :ثم تنشأ عنده الغيرة وتنفذ إليه من هذا الطريق ولا تزال تأكل قلبه حتى يبغض كل من حوله ، وهنا نقطة التحول من البناء إلى الهدم والتخريب قد يؤول به إلى نسف المجتمع كله . قال ﷺ : كما روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا » .

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » .

ولو راجع نفسه وتدبر كتاب ربه لوجد العلاج . يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] فيتأمل بكامل هدوء فيجد أنه باستطاعته أن يتدارك آثار إخفاقه ويعوض ما خسره فيه بقليل من الجد والنشاط .

٨– ضعف البدن ، فالمتشائم يهزل ويضعف لأنه يأكل نفسه بنفسه ،حسرة وحسدا ويرى أنه لافائدة من المعالجة ، أو مقاومة أدواء النفس .

٩– خور الهمة : إن من لايرى إلا الإخفاق ولا يفكر إلا بالخيبة ، سينتهي حتما ويتوقف من كل نشاط وتتحول همته إلى الدناءات .

١٠– يتصور أن الأمة كل الأمة مشغولة به وبإلحاق الضرر فيه وأن الناس يخططون لإيذائه . فيتخلق بالخلق السيء من الحقد والحسد والبغضاء ، وحب الأذى للآخرين ، والتخريب والغيرة .

١١– العزلة والانطواء ، والتعاظم في الباطن .

١٢– يصبح صاحبه عبدا للخزعبلات والخرافات .

١٣– نفق يقوده إلى الشرك بالله تعالى . قال ابن القيم : " التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك، بل ولجه وبرىء من التوكل على الله وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله ، والتطير مما يراه أو يسمعه، وذلك قاطع له عن مقام إياك نعبد و إياك نستعين، واعبده وتوكل عليه، وعليه توكلت و إليه أنيب، فيصير قلبه متعلقا بغير الله عبادة وتوكلا فيفسد عليه قلبه و إيمانه» .

وحاله يبقى هدفا لسهام الطيرة ويساق إليه من كل أوب ويقيض له الشيطان من ذلك مايفسد عليه دينه ودنياه، وكم هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة ، فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب ، المؤيد للآمال، الفاتح باب الرجاء، المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه، والاستبشار المقوي لأمله السار لنفسه فهذا ضد الطيرة ،فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد ، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك فلهذا استحب ﷺ الفأل وأبطل الطيرة .

أسباب التشاؤم :

١ – عدم الرضا بقضاء الله وقدره . وأن ماأصابه لم يكن ليخطئه ، وأنه لم يكن أكبر منه . فأنت تجد رجلين أصيبا بمصيبة واحدة أحدهما فرحا مسرورا ، والآخر مغموما مقهورا محسورا .

٢ – عدم مشاهدة نعمة الله عليه في نفسه وأهله .

روى الترمذي وابن ماجه عن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه قال :قال رسول الله ﷺ: « من أصبح منكم معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » .

٣ – سوء الظن بالله جل وعلا . واعتراض على أمره وحكمه وحكمته ، فيرى أن فلانا أعطي مالا يستحق من المال والولد ، وأنه أحق بهذا منه ..

٤ – جعل الدنيا أكبر همه .: روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ماقدر له » .

٥ – النظر إلى من فوقه ومن فضل عليه : روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه » روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لاتزدروا نعمة الله « عليكم » ، قال أبو معاوية .. وهذ هو العلاج الناجح لهذه العقبة الخبيثة .

٦ – سوء الظن بالآخرين وأنهم لايستحقون ماحصلوا عليه فهم لايفضلونه بشيء .

٧ – الجهل وضعف العقل .

٨ – ضعف الإيمان وقلة ذكر الله تعالى .

سلف المتشائمين : ولم يحك الله التطير إلا عن أعداء الرسل كما قالوا لرسلهم : ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يس : ١٨ ، ١٩]

وكذلك حكى الله سبحانه عن قوم فرعون فقال : ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [**الأعراف** : ١٣١] حتى إذا أصابهم الخصب والسعة والعافية قالوا لنا هذه أي نحن الجديرون الحقيقون به ونحن أهله ، و إن أصابهم بلاء وضيق وقحط ونحوه قالوا هذا بسبب موسى وأصحابه أصبنا بشؤمهم ونفض علينا غبارهم كما يقوله المتطير لمن يتطير به فأخبر سبحانه أن طائرهم عنده .

كما قال تعالى عن أعداء رسوله : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [**النساء** : ٧٨] فهذه ثلاثة مواضع حكى فيها التطير عن أعدائه .

وأجاب سبحانه عن تطيرهم بموسى وقومه بأن طائرهم عند الله لابسبب موسى .

وأجاب عن تطير أعداء رسول الله ﷺ بقوله : (قل كل من عند الله) وأجاب عن الرسل بقوله : (طائركم معكم) ، وأما قوله : (ألا إنما طائركم عند الله) فقال ابن عباس رضي الله عنهما : طائرهم ماقضى عليهم وقدر لهم، وفي رواية شؤمهم عند الله ومن قبله، أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله .

وقال أيضا : إن الأرزاق والأقدار تتبعكم وهذه كقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [**الإسراء** : ١٣] أي مايطير له من الخير والشر فهو لازم له في عنقه .

وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي أنه قال : يارسول الله ومنا أناس يتطيرون ، فقال : « ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنه » ،فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالتطير إنما هو في نفسه وعقيدته لافي المتطير به فوهمه وخوفه و إشراكه هو الذي يطيره ويصده لا ماراه وسمعه .

علاج التطير :

وقد شفى النبي ﷺ أمته في الطيرة حيث سئل عنها فقال: « ذاك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه » ، وفي أثر آخر «إذا تطيرت فلا ترجع» أي امض لما قصدت له ولايصدنك عنه الطيرة .

واعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف، وأما من لم يبال به ولم يعبأ به شيئا لم يضره البتة ولاسيما إن قال عند رؤية مايتطير به أو سماعه : « اللهم لاطير إلا طيرك ، ولاخير إلا خيرك، ولا إله غيرك، اللهم لايأتي بالحسنات إلا أنت، ولايذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولاقوة إلا بك » .

فالطيرة باب من الشرك ، و إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها نفسه واشتغل بها وأكثر العناية بها ، وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها ولاألقى إليها باله ولاشغل بها نفسه وفكره.

فأوضح ﷺ لأمته الأمر وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ولافيها دلالة ولانصبها سببا لما يخافونه ويحذرونه ،لتطمئن قلوبهم ولتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله وأنزل بها كتبه وخلق لأجلها السموات والأرض وعمر الدارين الجنة والنار، فبسبب التوحيد ومن أجله جعل الجنة دار التوحيد وموجباته وحقوقه ،والنار دار الشرك ولوازمه وموجباته ، فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم لئلا يبقى فيها علقة منها ولايتلبسوا بعمل من أعمال أهله البتة .

وقال الماوردي : « ينبغي لمن مني بالتطير أن يصرف عن نفسه دواعي الخيبة وذرائع الحرمان ، ولايجعل للشيطان سلطانا في نقض عزائمه ، ومعارضة خالقه ، ويعلم أن قضاء الله تعالى عليه غالب ، وأن رزقه له طالب ، إلا أن الحركة سبب ، فلا يثنيه عنها ما لا يضير مخلوقا ولايدفع مقدورا ، وليمض في عزائمه واثقا بالله تعالى إن أعطى ، وراضيا به إن منع "

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ – ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض